مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار بمركز الخليج للأبحاث
Gulf Research Center Dialogue Lab

أوراق ثقافية

سياسة الكرملين في الترسيم القومي والإقليمي في آسيا الوسطى (1936-1924)

سيد محمود مبشر كاساني
الحاصل على جائزة الدولة الأوزبكية لأفضل ترجمة إبداعية

مايو 2026

"الآراء الواردة في هذا المقال تعبر عن رأي الكاتب وحده، ولا تعكس بالضرورة سياسة أو توجه مركز الخليج للأبحاث."

نبذة تاريخية مختصرة:

تمثل آسيا الوسطى إحدى أكثر المناطق تعقيدًا في التاريخ السياسي الحديث، إذ تشكلت حدود دولها الحالية في ظل الحكم السوفيتي خلال عشرينيات القرن العشرين. إذ لم تكن المنطقة مقسمة إلى دول قومية كما هي اليوم، بل كانت فضاءً حضاريًا واسعًا يعرف باسم "تركستان"، يضم شعوبًا متقاربة اللغة والثقافة والدين. وقد أدت سياسة الترسيم القومي التي تبناها الاتحاد السوفيتي عام 1924 إلى إعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة، وهي عملية ما تزال آثارها السياسية والاجتماعية قائمة حتى اليوم.

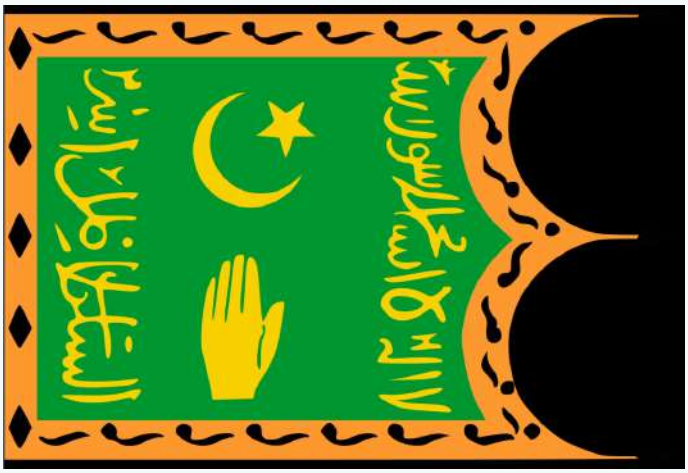

علم أمارة بخارى

تكونت آسيا الوسطى قبل الثورة البلشفية عام 1917 من ثلاث كيانات سياسية رئيسية هي: خانية قوقند في وادي فرغانة، وإمارة بخارى في وسط المنطقة، وخانية خيوة في الغرب. وخضعت هذه الكيانات تدريجيًا للنفوذ الروسي خلال القرن التاسع عشر بعد سلسلة من الحملات العسكرية التي انتهت بضم أجزاء واسعة من المنطقة، أهمها سقوط طشقند عام 1865، وهو ما جعلها تعرف باسم "تركستان الروسية"، مع إبقاء بخارى وخيوة كإمارات شبه مستقلة تحت الحماية الروسية.

أمير بخارى الأمير عالم خان في سان بطرسبرج

خطاب لينين الموجه لمسلمي الإمبراطورية الروسية بعد ثورة 1917:

سعت القيادة البلشفية بقيادة لينين Vladimir Lenin إلى كسب دعم الشعوب غير الروسية داخل الإمبراطورية السابقة، وخاصة المسلمين في مناطق الفولغا والقرم والقوقاز وتركستان. ولهذا وجّه لينين في 24 نوفمبر 1917 خطابًا بعنوان "نداء إلى جميع المسلمين العاملين في روسيا والشرق" أعلن فيه احترام الإسلام ومؤسساته، ووعد بمنح المسلمين حرية الدين والثقافة وحق تقرير المصير؛ وكان الهدف من هذا الخطاب طمأنة المسلمين الذين عانوا من سياسات التمييز في عهد الحكم القيصري، وكسب تأييدهم للسلطة البلشفية الجديدة في مرحلة كانت فيها الدولة السوفيتية في طور التأسيس وتواجه اضطرابات داخلية واسعة.

لكن هذه السياسة لم تستمر طويلًا، فمع ترسيخ الحكم السوفيتي، خاصة في عهد ستالين Joseph Stalin، اتجهت الدولة إلى تقليص النشاط الديني وإخضاع المؤسسات الإسلامية لرقابة صارمة، كما أُغلقت العديد من المساجد والمدارس الدينية. لذلك يرى كثير من المؤرخين أن وعود لينين كانت في جزء منها خطوة سياسية لكسب دعم المسلمين في بداية الثورة، أكثر منها التزامًا طويل الأمد بحرية دينية كاملة.

المرحلة الانتقالية: الكيانات السوفيتية الثلاثة في آسيا الوسطى(1918–1920):

بعد ثورة عام 1917 لم تتكوّن الجمهوريات الخمس الحالية بين ليلة وضحاها، بل استغرقت عملية تشكيلها قرابة 12-16 سنة حتى استقر الشكل النهائي للجمهوريات، على النحو التالي:

"جمهورية تركستان الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي Turkestan Autonomous Soviet Socialist Republic

تشكلت في أبريل عام 1918 بواسطة بلاشفة طشقند على أراضي ما كان يعرف في العهد القيصري باسم "تركستان الروسية"، وكانت تابعة مباشرة لروسيا السوفيتية. وشملت معظم أراضي أوزبكستان الحالية (طشقند، سمرقند، وادي فرغانة)، وجنوب كازاخستان مثل شيمكنت ومدينة تركستان، ومعظم أراضي قرغيزستان الحالية، وأجزاء من شمال طاجيكستان مثل منطقة خوجند.

علم جمهورية كازاخستان السوفيتية

"جمهورية بخارى السوفيتية الشعبية" Bukharan People's Soviet Republic

في أثناء تشكيل البلاشفة جمهورية تركستان الاشتراكية السوفيتية، كانت إمارة بخارى تحتفظ بكيانها السياسي المستقل، ولكنها كانت تشهد صراعًا بين حكومة أميرها "عالم خان" وحركة "شباب بخارى" Young Bukharans التي ظهرت نتيجة تفشي الأفكار الإصلاحية بين مسلمي آسيا الوسطى، ونشوء حركة وطنية أرادت إصلاح الأمارة من الداخل، منادية بالإصلاح السياسي والتعليمي وإنشاء دستور وبرلمان، ولكن وبعد قيام الثورة في روسيا اتجه قسم كبير منهم إلى التحالف مع البلاشفة، وبالتالي سقطت بخارى أو "قبة الإسلام" كما كانت توصف، بيد الجنرال الروسي ميخائيل فرونزه في سبتمبر 1920، وانتهت بذلك الأمارة، ولجأ أميرها "عالم خان" إلى أفغانستان حيث توفي في كابول عام 1944.

علم جمهورية بخارى الشعبية السوفيتية

"جمهورية خوارزم السوفيتية الشعبية" Khorezm People's Soviet Republic

كان الوضع في خوارزم مماثلاً لتلك التي كانت عليها جارتها بخارى، حيث تمرد الإصلاحيون من حركة "شباب خيوه" وأسقطوا بمساعدة الجيش

الأحمر في فبراير 1920 "سيد عبدالله خان" آخر حكام الخانية وأعلنوا قيام دولة جديدة ذات نظام ثوري موالٍ للسوفييت.

جمهورية قيرغيزيا السوفيتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي-Kirghiz Autonomous So viet Socialist Republic

أنشئت هذه الجمهورية في أغسطس عام 1920، وكانت تابعة لجمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية، وعاصمتها مدينة "أورينبورغ"، وتضم معظم أراضي كازاخستان الحالية.

خريطة آسيا الوسطى عام 1920

يجدر التنويه بأن مسمى "جمهورية قيرغيزيا" لم يكن يخص مناطق دولة قيرغيزستان المتعارف عليها اليوم، بل أطلق الروس هذا الاسم على مناطق كازاخستان الحالية، ويعود السبب في ذلك إلى أن القياصرة أطلقوا اسم «القيرغيز» على الكازاخ الحاليين في الوثائق الرسمية لتجنب الخلط بينهم وبين "القوزاق" Cossacks الإثنية الروسية التي كانت تشكل عصب الجيش الروسي، ولذلك سميت دولتهم عام 1920 باسم Kirghiz Autonomous Soviet Socialist Republic رغم أنها كانت تخص الكازاخ. أما القرغيز الحاليون فكانوا يسمَّون «قاره قيرغيز».

وهكذا تشكلت في آسيا الوسطى بعد الثورة البلشفية هذه الكيانات المذكورة، غير أن هذا الوضع لم يكن يمثل تسوية نهائية لمسألة تنظيم المنطقة داخل الدولة السوفيتية، بل كان مرحلة انتقالية مؤقتة. فهذه الكيانات لم تكن قائمة على أساس قومي واضح، بل كانت استمرارًا للحدود الإدارية التي ورثها البلاشفة عن العهد القيصري أو عن الكيانات التقليدية السابقة. ومع ترسخ السلطة البلشفية في المنطقة بدأ التفكير في إعادة تنظيم آسيا الوسطى على أساس قومي، وهو ما قاد لاحقًا إلى مشروع الترسيم القومي الإقليمي الذي نُفذ عام 1924.

دوافع السوفييت للترسيم القومي الإقليمي في آسيا الوسطى:

بعد استقرار الحكم البلشفي نسبيًا في آسيا الوسطى شكّل فلاديمير لينين عام1920 لجنة خاصة لدراسة مستقبل تركستان وكيفية تنظيمها إداريًا وقوميًا داخل الدولة السوفيتية. فأرسل إلى طشقند لجنة سميت بـ"لجنة تركستان" تضم مختصين (اقتصاديين، ومؤرخين، ومستشرقين، وجغرافيين، ومهندسين زراعيين، ومهندسين فنيين وغيرهم) وخلال الأعوام 1920–1924

استطاع أعضاء اللجنة جمع معلومات واسعة عن تاريخ تركستان، واقتصادها، وسكانها، وغيرها من الجوانب.

كانت الاستراتيجية السوفيتية تهدف إلى منع ظهور كيان سياسي موحد في المنطقة، فقد كانت القيادة البلشفية تخشى أن يؤدي بقاء المنطقة موحدة إلى نشوء حركة قومية تركستانية قد تهدد سيطرة موسكو، خاصة أن المنطقة كانت تشهد في تلك الفترة مقاومة مسلحة ضد الحكم السوفيتي عُرفت باسم حركة "الباصمجية" Basmachi movement ، التي استمرت طوال عشرينيات القرن العشرين، فكان أحد أهداف سياسة الترسيم القومي تفكيك القاعدة الاجتماعية لهذه الحركة ومنع تحولها إلى حركة تحرر إقليمية واسعة.

مقاتلون من حركة الباصمجية

مراحل تشكّل الجمهوريات السوفيتية في آسيا الوسطى (1924–1936):

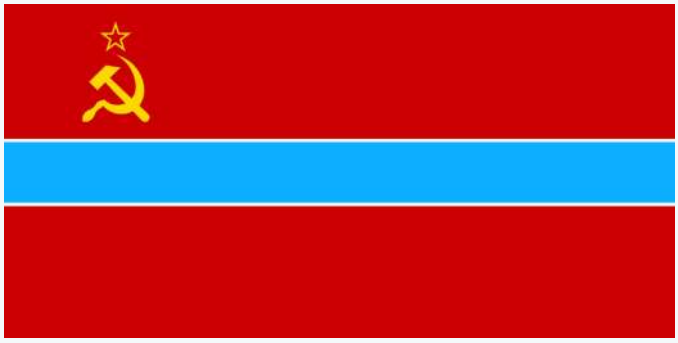

علم جمهورية أوزبكستان السوفيتية حتى عام 1991

لم يؤدِّ مشروع الترسيم القومي الذي أطلقه الاتحاد السوفيتي عام 1924 إلى ظهور الجمهوريات الخمس الحالية دفعة واحدة، بل جرى ذلك عبر عدة مراحل امتدت حتى عام 1936. ففي 27 أكتوبر1924 قامت موسكو بتفكيك الكيانات السياسية المذكورة، وأنشأت على أنقاضها جمهوريتين اتحاديتين هما: جمهورية أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية، وجمهورية تركمانستان السوفيتية الاشتراكية، كما أُنشئ داخل أوزبكستان إقليم طاجيكستان ذات الحكم الذاتي. وفي الوقت نفسه أُلحقت المناطق الكازاخية الجنوبية التي كانت تابعة لجمهورية تركستان بالجمهورية القيرغيزية السوفيتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي التابعة لروسيا السوفيتية، وهي الجمهورية التي كانت تمثل في الواقع أراضي كازاخستان الحالية، وفي 15 يونيو1925 جرى تصحيح هذه التسمية رسميًا لتصبح الجمهورية الكازاخية السوفيتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي.

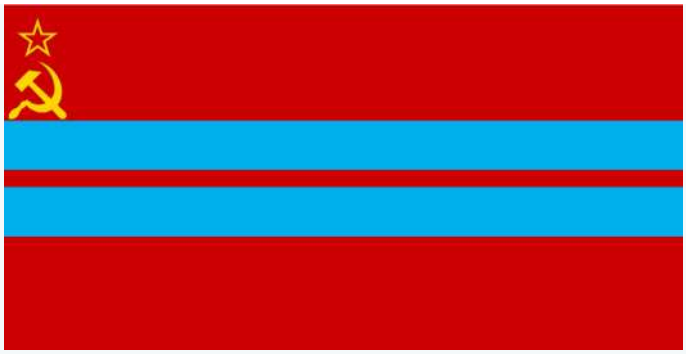

علم جمهورية تركمانستان السوفيتية

أما طاجيكستان فقد ظلت إقليمًا ذاتيًا داخل أوزبكستان، قبل أن تُرفع مكانتها في 5 ديسمبر1929 إلى جمهورية طاجيكستان السوفيتية الاشتراكية، ويتم اعتبارها جمهورية اتحاد مستقلة ضمن الاتحاد السوفيتي.

علم جمهورية طاجيكستان السوفيتية

كما وفي 5 ديسمبر1936 تحولت كل من كازاخستان وقرغيزستان من جمهوريتين ذاتيتي الحكم تابعتين لروسيا السوفيتية إلى جمهوريتين اتحاديتين كاملتي العضوية في الاتحاد السوفيتي.

وبذلك اكتمل تشكّل الجمهوريات الخمس في آسيا الوسطى وهي: أوزبكستان، تركمانستان، طاجيكستان، كازاخستان، وقرغيزستان. ورغم أن دستور هذه الجمهوريات كان ينصّ شكليًا على حقها في الانفصال عن الاتحاد السوفيتي، فإن هذا النص لم يتجاوز كونه إعلانًا نظريًا. على أن الحدود السياسية البينية مع الاتحاد السوفيتي قد استمرت قائمة حتى انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991

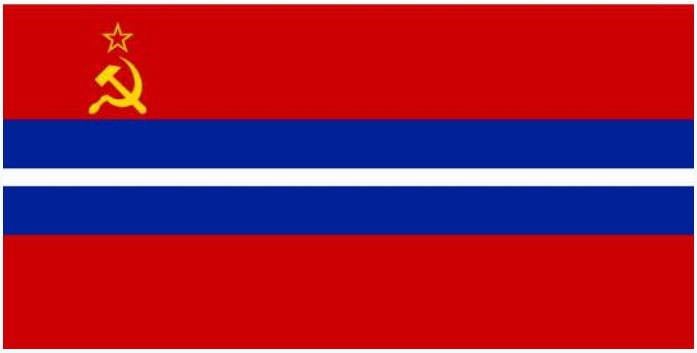

علم جمهورية قيرغيزستان السوفيتية

تأثير عملية التقسيم على شعوب المنطقة (الأوزبك مثالا):

لقد كان لترسيم الحدود القومية في آسيا الوسطى عام 1924 أكبر الأثر الذي ألحق ضررا بالشعب الأوزبكي. ففي تلك الفترة كان عدد الأوزبك في المنطقة يقارب ستة ملايين نسمة، لكن عند إنشاء جمهورية أوزبكستان السوفيتية لم يدخل ضمن حدودها سوى نحو أربعة ملايين نسمة، بينما بقي ما يقارب مليوني أوزبكي في جمهوريات تركمانستان وطاجيكستان وكازاخستان وقرغيزستان. وهكذا جرى فصل مناطق واسعة يسكنها الأوزبك تاريخياً عن وطنهم الجديد.

ومن ذلك ما حدث في وادي فرغانة، حيث ألحقت مناطق مثل أوش، وجلال آباد، وأوزغند، بقرغيزستان، رغم أن الأوزبك كانوا يشكلون جزءاً كبيرا من سكانها. كما تم نقل مقاطعة خوجند التي بقيت لعدة سنوات ضمن أوزبكستان بعد التقسيم في نوفمبر 1929 وبقرار من الكرملين إلى طاجيكستان، ومعها مناطق أخرى مثل بنجكنت، وأوراته تيبه، وكونيبادام، وإسفرة، وهي مناطق ارتبطت تاريخياً بإمارة بخارى وكان يعيش فيها عدد كبير من الأوزبك.

كما انتقلت أجزاء واسعة من الأراضي التاريخية التي عاش فيها الأوزبك إلى كازاخستان، بما في ذلك مدن تاريخية مثل تركستان، وشيمكنت،

وطراز، وسايرام، رغم أن الوثائق تشير إلى أن غالبية سكان هذه المدن في عشرينيات القرن الماضي كانوا من الأوزبك.

ومن الحوادث المثيرة ادعاء القوميين الكازاخ عام 1930 حقهم في مدينة طشقند التي لم تكن العاصمة في وقتها، حيث كانت العاصمة في سمرقند في تلك الفترة، إلا أن فيض الله خوجاييف رئيس اللجنة التنفيذية المركزية في أوزبكستان السوفيتية وهو أعلى منصب رسمي في الجمهورية آنذاك، ومن دون استئذان موسكو، قام في سبتمبر من نفس العام بنقل عاصمة الجمهورية من سمرقند إلى طشقند خلال يوم واحد، وهو ما أنهى عمليًا هذا الوضع الحساس.

فيض الله خوجاييف في محطة قطار طشقند 1931.

فضلاً عن ذلك، انتقلت إلى تركمانستان مدن تاريخية مهمة على ضفاف نهر جيحون، مثل تشارجوي، وفاراب (وهي مسقط رأس العالم الكبير أبي نصر الفارابي)، ومدينة كونيا أورغنج التاريخية، وغيرها من المناطق الواسعة. والحال أن هذه المناطق كان يسكنها في الغالب الأوزبك، وكانوا يعملون في الزراعة والحِرَف والتجارة. وكانت ضفاف جيحون منذ القدم جزءًا من واحات بخارى وخوارزم، وتُعد موطنًا تاريخيًا مركزيًا للأوزبك.

إن سياسة الترسيم القومي التي انتهجها الاتحاد السوفيتي لم تجلب الاستقرار الذي كان يُفترض أن تحققه، بل أدت إلى ظهور خلافات ونزاعات قومية بين شعوب المنطقة. وقد ترك هذا التقسيم آثاراً عميقة في تاريخ المنطقة، إذ بقيت مناطق كثيرة يسكنها الأوزبك تاريخياً خارج حدود أوزبكستان، مما جعل مسألة الحدود والهوية القومية واحدة من أكثر القضايا حساسية في آسيا الوسطى الحديثة.

النزاعات الحدودية في آسيا الوسطى بعد الاستقلال:

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 تحولت الحدود الإدارية التي رسمتها موسكو في عشرينيات القرن الماضي إلى حدود دولية بين الجمهوريات الجديدة. وبسبب تعقيد هذه الحدود، خصوصًا في وادي فرغانة حيث تتداخل القرى والأراضي الزراعية ومصادر المياه بين الدول، شهدت المنطقة خلال العقود اللاحقة توترات ومناوشات متكررة بين السكان وقوات حرس الحدود، خاصة بين قرغيزستان وطاجيكستان، حيث وقعت عدة اشتباكات حدودية خلال السنوات الأخيرة، كان أبرزها المواجهات المسلحة في أبريل2021، ثم في سبتمبر2022، حيث استخدمت فيها الأسلحة الثقيلة وسقط خلالها عشرات القتلى والجرحى من الجانبين، إضافة إلى نزوح آلاف المدنيين من القرى الحدودية.

وترتبط هذه النزاعات غالبًا بالخلافات حول ترسيم الحدود واستخدام المياه وقنوات الري والطرق الزراعية في المناطق الحدودية، إذ يعتمد نحو 74٪ من السكان النشطين اقتصاديًا في الجانب القرغيزي و75٪ في الجانب الطاجيكي على الزراعة، الأمر الذي جعل النزاعات حول المياه والأراضي الزراعية سببًا متكررًا للاشتباكات.

وفي 13 مارس2025 وقّع رئيسا قرغيزستان صدر جباروف، وطاجيكستان إمام علي رحمن، اتفاقًا تاريخيًا لترسيم حدودهما المشتركة التي يبلغ طولها نحو 970–1000 كيلومتر، بعد مفاوضات استمرت سنوات طويلة. ونص الاتفاق على تبادل متكافئ لبعض الأراضي الحدودية، والتنظيم المشترك لاستخدام موارد المياه والبنية التحتية الزراعية، إضافة إلى تخفيف الوجود العسكري في المناطق الحدودية.

وفي خطوة رمزية لتعزيز الاستقرار الإقليمي، عقد رؤساء قرغيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان اجتماعًا في مدينة خوجند الطاجيكية في 31 مارس 2025، حيث وُقّعت اتفاقية ثلاثية لتحديد نقطة التقاء الحدود بين الدول الثلاث، وهو أول اتفاق من نوعه في تاريخ المنطقة، وقد عُدّ الدور الذي لعبه الرئيس الأوزبكي شوكت ميرضياييف دورًا محوريًا في اتفاقيات خوجند، والتي ساهمت في تطبيع الحدود في آسيا الوسطى، وأدى إلى تسوية قضايا حدودية معقدة وتعزيز التعاون الاقتصادي الإقليمي. ويُعدّ هذا الجهد جزءًا من سياسة أوزبكستان الخارجية الأوسع نطاقًا التي تركز على الوحدة الإقليمية، وتعزيز الأمن، وتحويل الحدود التي كانت تشهد توترات إلى مناطق تبادلات تجارية.

رؤساء أوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان أثناء توقيع اتفاقية خوجند الثلاثية-مارس 2025

أخيرا، يرى عدد من الباحثين أن هذه الاتفاقيات تعكس تحولًا مهمًا في العلاقات الإقليمية في آسيا الوسطى، حيث بدأت دول المنطقة تميل إلى حل النزاعات الموروثة من الحقبة السوفيتية عبر الحوار الإقليمي المباشر دون تدخل القوى الخارجية. وباتت هذه الدول تعبر عن كياناتها بشكل مستقل، وتهتم بأطر التقارب فيما بينها بشكل يعكس عمق الترابط التاريخي والاجتماعي بينها، كما يعمق العلاقة بمختلف دول العالم وبخاصة الدول العربية والإسلامية، ويأتي على رأس هذه الدول المملكة العربية السعودية لما تمثله من قيمة معنوية ومادية، وما تعكسه من عمق تاريخي.

تركمنستان

أوزبكستان

قيرغيزستان

طاجيكستان

كازاخستان

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium